كـــلـــمـــة

الســـيد فـــاروق الشـــرع

وزير خارجية الجمهورية العربية السورية

في المؤتمر العالمي لمناهضة العنصرية المنعقد في مدينة ديـــربـــان بجنوب أفريقيـــا خـــلال الفتـــرة من ٢٠٠١/٨/٣١ ولغاية ٢٠٠١/٩/٧

السيد الرئيس

أهنئكم برئاسة هذا المؤتمر الـهام ، وأود أن أنقـل إليكـم وعبركم إلى الرئيس نيلسون مانديـلا ، رمـز النضـال ضـد العنصرية ، وإلى شعب جنوب أفريقيا الصديق ، أحر تحيات السـيد الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السـورية وأصـدق تمنياته للمؤتمر بالنجاح .

ومما لا شك فيه أن إحدى المساهمات القيمة في إنجـاح هـذا المؤتمر تعود إلى انعقاده في هذا البلد الذي تمكن شعبه عبر نضالـه الطويل الشاق ، وتضحياته الجسام ، ودعـم أشـقائه الأفارقـة ، وتضامن العالم معه ، تمكن من إسقاط واحدة مـن أعـتى قـلاع العنصرية في أفريقيا والعالم .

واسمحوا لي ، في هذا السياق ، أن أشير إلى أن بلدي سـورية والعرب والمسلمين عموماً قد وقفوا بثبات إلى جانب الكفاح الـذي خاضه شعب جنوب أفريقيا ، وتضامنوا معه بصـدق وإخـلاص وقاطعوا أعداءه دون تردد أو تحفظ ، وذلك لسببين جوهريين :

أولاً : لأن العنصرية من أكثر الآفات الاجتماعية خطورة حيث تجمع في طياتها خلاصة الشرور في العالم : فكراً متعصباً أعمى قد يتحول بصورة منهجية أو عشوائية وعلى مرأى من العالم إلى ممارسة تتجاوز في وحشيتها وفظاعتها كل الحدود الإنسانية .

وثانياً : لأن مناهضة شعبنا العربي للعنصرية ذات إرث تاريخي وثقافي عريق ، ربما لم يُعرف على نطاق واسع . ففي القرن السادس الميلادي على سبيل المثال تعاهد فضلاء مكة في قلب الجزيرة العربية ألا يدعوا ببطن مكة مظلوماً من أهلها أو ممن دخلها من غيرهم من سائر الناس إلا كانوا معه على ظالمه حتى ترد له مظلمته ، و بعد أن نزلت الرسالة على النبي محمد (ص) بارك هذه المبادرة التي تنسجم مع تعاليم الإسلام السمحاء .

لقد سجل العديد من المؤرخين المعاصرين بإعجاب لا يخلو من الدهشة مدى الثراء الإنساني و الديني في سورية (بلاد الشام) ، لأن الكثير من المضطهدين في الجوار البعيد والقريب ، وجدوا فيها ملجأً آمناً كريماً فعاشوا وما يزالون كمواطنين سوريين يتمتعون بمساواة تامة في الحقوق والواجبات.

لكن تاريخ العرب والأفارقة خصوصاً ودول العالم الثالث عموماً لا يتسم بالموضوعية والدقة لأن معظم المؤرخين لا ينتمون إلى ثقافتهم ولا إلى تراثهم ، وبالتالي فإن كلا الطرفين : الكاتب والقارئ . على جانبي الكرة الأرضية غالباً ما ينسون أو يهمشون الظلم الفادح الذي لحق بهذه الشعوب . ولذلك بدت عذابات ثلثي شعوب العالم والتي تجاوزت في بعض الحالات حدود القدرة البشرية على التحمل وكأنها عذابات وآلام من الدرجة الثالثة .

إن أخطر ما يواجه شعوب الشرق الأوسط ، هو ممارسات إسرائيل العنصرية ، لا سيما إذا اعتقد الإسرائيليون أن قتل الفلسطينيين وارتكاب المجازر المروعة بحقهم منذ دير ياسين (عام ١٩٤٨) وانتهاءً باصطياد الأطفال عشوائياً واغتيال الكوادر القيادية انتقائياً ، يمكن أن تستمر دون حساب . كما يخطأ الإسرائيليون إذا اعتقدوا أنهم سوف يستمرون طويلاً في البقاء فوق القانون والشرعية الدولية ، متجاهلين ما يحمله العرب من عزيمة وإيمان بالعدالة والمساواة بين بني البشر ، فضلاً عن ثقافة إنسانية لا تقبل الذل والخضوع .

لقد تغيرت الظروف ، وتغيرت الأزمان والأحكام ، وتحررت معظم شعوب العالم من الاستعمار وتخلصت زيمبابوي وناميبيا وجنوب أفريقيا من العنصرية التي كانت إسرائيل الصهيونية من أوثق حلفائها وهكذا لم يعد العالم يقبل الاحتلال والاستعمار الاستيطاني ولم يبق إلا إسرائيل كآخر قلعة عنصرية لم تدرك بعد هذه الحقيقة .

ولا يحتاج المرء إلى أبحاث ودراسات لكي يتعرف على الجوانب العنصرية في إسرائيل . لأن مسألة العنصرية هناك لم تكن يوماً مسألة نوايا فحسب بل كانت منذ البداية وحتى الآن ممارسات تنظمها قوانين وتشريعات عنصرية في إسرائيل كقانون العودة لعام ١٩٥٠ وقانون أملاك الغائبين لعام ١٩٥٠ وقانون الصندوق القومي لعام ١٩٥٣ وقانون تنظيم البناء لعام ١٩٦٥ وغيرها وغيرها .

إن هذه الممارسات العنصرية – إذا ما استمرت – ستجعل فكرة السلام مع العرب بعيدة المنال ، فحكام إسرائيل يجهدون للجمع بين أغرب المتناقضات في التاريخ ، فهم يريدون الأمن مع استمرار الاحتلال – ويريدون دولة يهودية خالصة مع الأرض بلا

فلسطينيين ، ثم يرفضون في الوقت ذاته أن يقيم الفلسطينيون دولة مستقلة على أراضيهم المحتلة .

ومن هذا المنطلق تهدم سلطات الاحتلال الإسرائيلي بيوت الفلسطينيين بحجة عدم وجود تراخيص للبناء كي تدفعهم للهجرة ، وفي الوقت ذاته يسهلون الاستيطان لليهود القادمين من آخر أصقاع الأرض ويمنحونهم التراخيص والمساعدات المالية للبناء في الأراضي الفلسطينية المحتلة . ورغم كل هذا وذاك يحرص الإسرائيليون أن يظهروا في وسائل الإعلام العالمية كضحايا يستدرون العطف وكأبطال في الوقت نفسه يحوزون على الإعجاب لأنهم عندما يطلقون النار على الفلسطينيين يتباهون إنهم يصيبون أهدافهم بدقة .

ومن أغرب المفارقات في تاريخ الصراع العربي ـ الإسرائيلي أن تزعم إسرائيل أن عودة اللاجئين الفلسطينيين بموجب قرار الأمم المتحدة ١٩٤ تعني إنهاء إسرائيل كدولة ، في حين أن عودة اللاجئين الفلسطينيين لا تعني إلا إنهاء عنصرية هذه الدولة .

لقد مارست الولايات المتحدة ضغوطاً متواصلة طيلة الأشـــهر الماضية للتخلي في البيان الختامي الذي سيصدر عن هذا المؤتمر عـــن مطالبة الأفارقة بالتعويضات عن فترة العبودية ، وكذلك التخلـــي عن عبارة مساواة الصهيونية بالعنصرية . ولكن مـــن الطريـــف أن محاولة إلغاء هذه المطالب أدت إلى اتساع تداولها وإبراز مضمونها في أوساط الرأي العام لدرجة يبدو معها أن موضوع دفع التعويضـــات هو مسألة زمن ليس إلا ، وأن مضمون القرار ٣٣٧٩ الذي ساوى العنصرية بالصهيونية قد أصبح الآن أكثر شعبية مما كـــانت عليـــه الحال في العام ١٩٧٥ .

السيدات والسادة ،

بالرغم مما سمعناه وشاهدناه من مظاهر الظلم والقهر والعـــدوان في أكثر من مكان في العالم ، دعونا نتطلع بتفاؤل إلى مستقبل تنتصر فيه العدالة على الظلم ، والمساواة على القهر ، مســـتقبل مشـــرق للجنس البشري كافة دون تمييز عنصري من أي نوع .

شكراً والسلام عليكم